الأَديبْ و المُفكِّرْ الرَّاحِل
رَمضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
ليالي الأصفهاني في كتاب الأغاني

عمر الوادي

مقدمة موسيقية..

مقدمة كلامية.....

أبو الفرج: ذكر المهدي ليلة أمير المؤمنين الوليد بن يزيد فقال: كان ظريفاً أديباً فقال له شبيب بن شيبة: يا أمير المؤمنين، إن رأيت ألا تجري ذكره على سمعك ولسانك فافعل فإنّه كان زنديقاً فقال: أسكت فما كان الله ليصنع خلافته عند من يكفر به..

عمر الوادي: " غاضباً " هذا والله غير صحيح..الوليد بن يزيد رحمه الله لم يكن زنديقاً ولا كافراً بل كان صاحب مروءة في طهارته وصلاته..

عبيد الله: إسمع يا عمر..أنا لست ممن يفتري على الناس ولا أحب أن اكشف عن سوءاتهم..لكن صاحبك الوليد قد جاوز كل حد وأنتهك كل الحرمات..ألم تسمع بحواره مع يزيد بن عنبة السكسكي؟

عمر الوادي: وماذا كان حواركما؟

عبيد الله: لكأنّك لم تكن جليس الوليد ولم تشاركه في مجالسه وملاعبه ومجونه؟

عمر الوادي: خافوا الله يا جماعة..أقسم لك غير حانث ولا كاذب أن ما يتقوله أعداؤه عليه هو أكثر من كثير..لقد صوروه لكم شيطاناً من شياطين الإنس..بل صوروه أستاذاً لشياطين الأرض الجحيم..ثم قل لي يا عبيد الله لماذا تذكرون ما ينسب إليه رحمه الله من السوءات ولا تذكرون من دافعوا عنه.

عبيد الله: أنت عمر الوادي تقول: هناك وجوه من الناس دافعوا عنه؟

عمر الوادي: نعم..أنا أقول..وعلى رأس من دافع عنه: العباس بن الوليد أخو يزيد بن الوليد..كان ينهى أخاه يزيد عن فعلته ويلح عليه بإسم الدين ولحمة النسب وحرمة الدماء أن يكف عن ثورة لا مبرر لها غير الطمع..

عبيد الله: هذا خير اسمعه لأول مرة.

عمر الوادي: بل هو خير من أخبار كثيرة جداً أسدل عليها الستار وأحيطت بالكتمان لتشويه سمعة هذا الرجل وبالتالي تشويه من وراءه هل تعلم يا عبيد الله أنّ العباس بن الوليد قد وضع شعراً في هذا؟

عبيد الله: وأنى لي أن اعرف؟

عمر الوادي: قال في هذا المعنى:

إني أعيذكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا: info@RamadanLawand.com

إن البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا

لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا

لا تبقرن بأيديكم بطونكم فثم لا حسرة تغني ولا جزع

عبيد الله: لكن ألا تعلم يا عمر أنّ ألسنة الخلق أقلام الحق؟

عمر الوادي: إنّ الذين روّجوا لهذه الحكمة المزعومة هم أنفسهم الذين يصنعون الأخبار ويروجون لها بين العامة والعامة سريعة إلى التصديق سرعتها إلى التكذيب..كلا يا عبيد الله..لقد رافقت الوليد بن يزيد زمناً طويلاً فوالله لم يكن رقيق الدين ولا زنديقاً..بل مات وهو يقرأ القرآن وفي حياته كان إذا حضرت الصلاة يطرح الثياب التي تكون عليه مطيبة أو مصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة فيصلي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود فإذا فرغ من صلاته عاد إلى لهوه..

عبيد الله: لولا أنّك أنت يا عمر تقول لي هذا لما صدقت فأنت عندي مؤتمن..لكن قل لي ما الذي أمكن خصومه منه فجعلهم ينجحون في ترويج أخبار السوء والمزندقة عنه؟

عمر: كل ما في الأمر يا عبيد الله أنّه رحمه الله كان يحب الحياة..فلا يدع فرصة تفوته إلا ويستغلها في المرح واللهو على ألا تكون على حساب الناس..

عبيد الله: أما هذا فكثير..

عمر: حسن..لكن أذكر فقط قول الوليد وقد هاجمه السكسكي:

يا أخا السكاسك ما تنقمون مني؟ ألم أزد في إعطياتكم وأعطية فقرائكم وأخدمت زمناً كم دفعت عنكم المؤن؟

عبيد الله: وكان جواب يزيد بن عنبة السكسكي واضحاً حين قال له: ما ننقم عليك في أنفسنا شيئاً ولكن ننقم عليك إنتهاك ما حرم الله..

عمر: أنت تروي نص الإتهام لكنّك لا تروي جواب الوليد له حين قال: لعمري لقد أغرقت فأكثرت وأنّ فيما أحل الله لسعة فيما ذكرت..

عبيد الله: مهما يكن الأمر يا عمر فقد أصبح الوليد جزءاً من الماضي.

عمر: كلا..إنّ الماضي ينسحب بكل خيره وشره إلى الحاضر والمستقبل وإنّ أخوف ما أخاف أن يصبح تاريخ خلفائنا بعد موتهم مضغة في أفواه الكاذبين ومادة لأساطيرهم التي يفسدون بها قلوب الناس ويؤنسون بها الأجيال القادمة من أنفسهم..

عبيد الله: أنت على حق على عمر..ولعلّي أن أكون واحداً من الذين نجحت الأكاذيب في إفساد قلوبهم وإدخال اليأس إلى نفوسهم. فأستغفر الله لي ولك. لكن ألا تحدثني عن بعض مجالسك معه؟

عمر: أي والله أحدثك على أن نتناول طعامنا أولاً ثم نعود إلى ما كنا فيه.

أبو الفرج: هو عمر بن داود بن زادان وجده زادان مولى عمرو بن عثمان بن عفان وكان عمر مهندساً وأخذ الغناء عنه حكم الوادي وذوده من أهل وادي القرى وكان قدم إلى الحرم فأخذ من غناء أهله فحذق وصنع فأجاد وأتقن.. وكان طيب

الصوت شجيه ومطرباً.. واتصل بالوليد بن يزيد في أيام إمارته فتقدم عنده جداً وكان يسميه جامع لذاتي ومحيي طربي.. وقتل الوليد وهو يغنيه..وكان آخر عهده به من الناس.

عزف موسيقي..عمر الوادي يغني.

لَقَد هَجَرَت سُعدى وَطالَ صُدودُها وَعاوَدَ عَيني دَمعُها وَسُهودُها

وَكُنتُ إِذا ما زُرتُ سُعدى بِأَرضِها أَرى الأَرضَ تُطوى لي وَيَدنو بَعيدُها

مِنَ الخَفَراتِ البيضِ وَدَّ جَليسُها إِذا ما اِنقَضَت أُحدوثَةٌ لَو تُعيدُها

مُنَعَّمَةٌ لم تَلقَ بُؤسَ مَعيشَةٍ هي الخُلدُ في الدُنيا لِمَن يَستفيدُها

هيَ الخُلدُ ما دامَت لِأَهلِكَ جارَةً وَهل دامَ في الدُنيا لِنَفسٍ خُلودها

فَتِلكَ الَّتي أَصفيتُهابِمَوَدَّتي وَليدًا وَلما يَستَبِن لي نُهودُها

وَقَد قَتَلَت نَفسًا بِغيرِ جَريرَةٍ وَليسَ لها عَقلٌ وَلا مَن يُقيدُها

وَلَستُ وَإِن أُوعِدتُ فيها بِمُنتَهٍ وَإِن أُقِدَت نارٌ فَشُبَّ وَقودُها

الوليد: أحسنت يا جامع لذتي وحيي طربي..

عمر: وهل أعجبك الصوت يا أمير المؤمنين؟

الوليد: هو لم يعجبني وحسب بل استطار له قلبي.. إسمع يا عمر.

عمر: نعم يا أمير المؤمنين..

الوليد: هل ترى هذا الخاتم في أصبعي؟

عمر: أراه جداً وأحس معه وكأنّ الظلام ينهزم أمامه.

الوليد: هل تحب أن أهبه لك؟

عمر: نعم والله يا مولاي.

الوليد: إذاً تأتيني في كل مجلس بمثل هذا الصوت.. وأقدم إليك مثل هذا الخاتم.

نقلة موسيقية...

عمر: هكذا كان الوليد يا عبيد الله. يسخو بما معه حتى يكون سخاؤه أجود من الريح العاصفة.

عبيد الله: لكن الحق أيضاً أنّ هذا الصوت الذي غنيته له صوت ممتع رائع.. وإنّي لأتمنى أن أسمعه منك كل يوم.

عمر: بالمناسبة..أتعلم أنّ لهذا الصوت حكاية خاصة؟

عبيد الله: وما هي حكايته؟

عمر: سرقته.

عبيد الله: سرقته؟ وكيف؟

عمر: كان ذلك في يوم من أيام فصل ربيع وقد جلست في شرفة من شرفات قصر للوليد في الصحراء القريبة من دمشق..

نقلة....

الراعي: يترنم بقول الشاعر:

وَكُنتُ إِذا ما زُرتُ سُعدى بِأَرضِها أَرى الأَرضَ تُطوى لي وَيَدنو بَعيدُها

الوليد: " فترة صمت " إلى أين يا عمر؟

عمر: سأحدثك فيما بعد..

الوليد: وهل يسعني أن أنتظر عودتك.

عمر: أخاف أن يضيع.

الوليد: وما هو الذي تخاف ضياعه؟

عمر: صوت سمعته يردده رجل غريب.

الوليد: " يضحك " حسن..سأنتظرك..

عمر: " فترة صمت " أأنت صاحب الصوت؟

الراعي: أي صوت أيها السيد؟

عمر: الذي تقول فيه:

وَكُنتُ إِذا ما زُرتُ سُعدى بِأَرضِها أَرى الأَرضَ تُطوى لي وَيَدنو بَعيدُها

الراعي: بلى..هو أنا..

عمر: إسمع أيها الراعي..لقد قلت في نفسي وأنا أسمعك تترنم به.. والله لألتمسن الوصول إلى صاحب هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي.

الراعي: حسن..ألا تجلس.

عمر: كيف لا أجلس؟ بل أجلس جداً..

الراعي: " فترة صمت " لكن يؤسفني أنّه ليس عندي قرىً لك.

عمر: لست في حاجة إلى شيء..

الراعي: والله لو كان عندي قرى ما فعلت.. لكنّني سأجعل من تقديم هذا الصوت قرى لك..

عمر: بذلك تعطيني فتجزل في العطاء.

الراعي يترنم بالبيت ثم يقول..

الراعي: أتعلم أيها السيد..إنّي ربما ترنمت به وأنا جائع فأشبع وكسلان فأنشط ومستوحش فآنس..

عمر: صدقت..أما وقد أعطيتني كل ما عندك فأنا أعطيك كل ما عندي.. هذا ثوبي فخذه..وهذه دنانير أحتفظ بها فهي حلال لك..

الراعي: لا بد أيها السيد أن تكون مغنياً لملك أو أمير.. فمن أنت؟

عمر: أنا عمر الوادي؟

الراعي: أحقاً أنت عمر؟

عمر: والله إنّي لعمر..بلحمه ودمه..

الراعي: إذاً خذ دنانيرك وثوبك.. فما كنت أقبل منك هدية أبداً..

عمر: ولماذا لا تقبلها؟

الراعي: يكفيك من العطاء الجزل ما تقدمه للناس وما تشيعه من الفرحة في القلوب.

عمر: بل تأخذ ما وهبتك فعندي والله ما أعوض عنه.

الراعي: ؟إذا كان ولا بد من العطاء فأريد شيئاً آخر.

عمر: وماذا تريد؟ فأنا لا أملك غير هذه الخلعة وتلك الدنانير..

الراعي: أريد صوتاً منك تسمعني إيّاه.. فأقول للناس: إنّ عمر الوادي غناني صوتاً لي وحدي..

عمر: هنا في الصحراء؟

الراعي: بلى يا عمر هنا في الصحراء..

عمر: لن تكون أسخى مني يداً ولا أكرم نفساً..ستأخذ ما نزلت لك عنه وسأسمعك الصوت..

عزف موسيقي..عمر يغني...

أيا من طرفه سحرُ

ومن ريقته خمرُ

تجاسرتُ فكاشفت

كَ لما غُلبَ الصبرُ

وما أحسن في مِث

لِك أن ينهتك السترُ

وإن لامني الناسُ

ففي وجهك لي عُذرُ

فدعني من مواعيد

ك إذ حينكَ الدهرُ

فلا والله لا تبر

حُ أو ينقضي الأمرُ

فإما الغَصبُ والذمُّ

وإمّا البذلُ والشكرُ

ولو شئتَ تيسَّرتَ

كما سُمِّيت يا يُسرُ

وكن كاسمك لا تَمن
عك النخوةُ والكبرُ
فلا فُزتُ بحظِّي مِن
ك إن ذاع له ذِكرُ
أتاني عنك ما ليس
على مكروهِهِ صبرُ

الراعي: " يصفق " أحسنت يا عمر..الآن شبعت حقاً بعد جوع وأنست بعد وحشة ونشطت بعد كسل..

نقلـــــة.....

الوليد: وأخيراً عدت يا عمر..لكن أين الثوب الذي كنت تلبسه؟

عمر: أهديته للراعي يا مولاي.

الوليد: أي راع تقصد؟

عمر: صاحب الصوت الذي حدثتك عنه يا أمير المؤمنين..

الوليد: ولماذا لم تأت بالرجل فنكرمه؟

عمر: وهبته ما أحمل من الدنانير والثوب.

الوليد: بل تلحق به وتعيده إلينا فهو جار لنا وللجار حق لا نبخسه إياه..

عمر: أمرك يا أمير المؤمنين..

نقلـــــة.....

عبيد الله: الحكاية طريفة حقاً..لكن موقف الوليد بن يزيد أدعى إلى العجب والاستطراف..

عمر: هكذا كان دائماً يا عبيد الله..قلب كبير..ونفس طيبة..ويد مبسوطة بالعطاء..كأن يبحث عن الجمال في كل شيء..وكأن يجده في المرأة كما يجده في الشجاعة والنبل والسخاء..إنّه النموذج الذي يختلط في شخصه كل من الجد والهزل والحزم واللين والرضى والغضب..

عبيد الله: إذا كان الأمر كذلك فإنّ من حقه عليك وعليّ من يعرفه معرفتك به أن تصرخ بأعلى صوتك معلناً حقيقة أمره..

أبو الفرج: عن إسحاق بن حماد قال: كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنيين عند الوليد بن يزيد فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء إليه والإختصاص له.. وبلغني أنّه كان لا يضرب بآلة موسيقية وإنّما كان مرتجلاً..وكان الوليد يسميه جامع لذاتي. قال: وبلغني أنّ حكماً الوادي وغيره ومن مغني وادي القرى اخذوا عنه الغناء وانتحلوا أكثر أغانيه..

خيل تركض..سيوف تتقارع وصرخات فرسان ثم ينخفض الصوت شيئاً فشيئاً..

الوليد: نحن الآن آمنان يا عمر!

عمر: وأين هو الأمن يا أمير المؤمنين وقد أحاط الجند المتمردون بنا من كل جانب..فلا مهرب لك منهم إلا إليهم.

الوليد: بل نحن في أمن حتى يعلوا الحائط وهو مرتفع كما تعلم ثم يحتاجون إلى تسلق جدار وراء جدار حتى يصلوا إلينا.

عمر: يا مولاي أنا خائف عليك.

الوليد: " يضحك " تخاف عليّ؟ ماذا بك يا عمر؟ نحن إن لم نمت اليوم سنموت في الغد أو بعده..وإنّه لمن الغباء أن نضيع ساعة من العمر دون أن نستمتع بها..

عمر: فكم بقي لنا من الحياة يا مولاي؟

الوليد: بل قل: فكم بقي لي أنا..فأنت يا عمر لست طلبة الثائرين إنّهم يريدون جلدي أنا وحسب.

عمر: لا حول ولا قوة إلا بالله..

الوليد: لا عليك..أما الآن فغني..

عمر: " في خوف "كيف أغني يا مولاي والموت يأتيك من كل مكان.

الوليد: غنِّ ولا بأس عليك.

عمر: يترنم في خوف وقلق:

طافَ مِن سَلمى خَيالٌ

بَعدَما نِمتُ فَهاجا

قُلتُ عُج نَحوي أُسائِل

كَ عِنِ الحُبِّ فَعاجا

يا خليلي يا نديمـــي.....

ويتهدج صوته وهو يترنم ثم ينقطع عن الغناء وهو يبكي.....

الوليد: " ينتهره "كف عن البكاء يا عمر..لقد خصّصتك بنفسي لأنّني وجدت منك القلب المرح والشجاعة والنفس الطيبة..لم أعد في حاجة إلى غنائك..إنّ قراءة آيات من الذكر الحكيم خير من هذا كله..

نقلـــــة.....

عمر: " بصوت ضعيف متهدج " هذه آخر صورة له في نفسي يا عبيد الله..لقد كان كما علمت شهماً شجاعاً مرحاً مؤمناً بالله ومحباً للحياة.

عبيد الله: يا عمر..أنت الآن شيخ عجوز..تحمل وراءك تاريخاً ثقيلاً حافلاً بالأخبار والوقائع..والحزن على ما فات لا يليق بك..يجب أن تستعيد صحتك وتفعل ما كان يفعله الوليد..تحيا حياتك حتى آخر قطرة ثم تستقبل الموت كما أستقبله هو بشجاعة..ثم قل لي هل صحيح أنّ الوليد نظم فيك شعراً..

عمر: " يستعيد هدوءه " بلى يا عبيد الله لقد قال في شعراً وطالبني بتلحينه وقد فعلت..

عبيد الله: هل تنشده لي؟

عمر: قال رحمه الله:

إنني فكرت في عمر حين قال القول فاختلجا

إنه للمستنير به قمر قد طمس السرجا

ويغني الشعر ينظمه سيد القوم الذي فلجا

أكمل الوادي صنعته في لباب الشعر فاندمجا

موسيقى نهاية...